اليابان والجامعة الاسيوية

مبـــدأ مونرو اسيوى

للاستاذ محمد عبد الله عنان

منذ أسبوعين طلعت اليابان على العالم بتصريح فى منتهى الأهمية والخطورة . خلاصته : «ارفعوا أيديكم عن الصين» ، وهو بعبارة أخرى إنذار من اليابان الى اوربا وامريكا بانها اصبحت تعتبر من واجبها أن تحمى الصين من كل محاولة جديدة اوربية او امريكية فى سبيل الفتح أو الاستعمار الاقتصادى ، ومن حقها أن تستأثر بالتوسع السياسى او الاقتصادى فى انحاء الصين الشاسعة . ولا تخفى اليابان أنها جادة فى انذارها ، وانها على أهبة لتأييده وتنفيذه بالقوة المادية ، وفى نفس الوقت الذى تلقى فيه اليابان بهذا الانذار ، نراها تقرر اعتمادات حربية ضخمة لتقوية اسطولها الجوى ، وتقوم بعدة مظاهرات عسكرية أخرى .

وقد أثار هذا التصريح الجرىء فى جميع دوائر السياسة العليا دهشة عظيمة ، ولاسيما فى الدول ذات النفوذ والمصالح فى الصين مثل بريطانيا العظمى وامريكا وروسيا وفرنسا وايطاليا . ولم يتضح حتى الآن موقف هذه الدول ازاء تلك الخطوة الجديدة التى تتخذها اليابان للحد من النفوذ الغربى فى الصين . ولكن اولئك الذين يتتبعون تصرفات السياسة اليابانية فى الصين فى الاعوام الثلاثة الأخيرة يدركون ان هذه الخطوة انما هى نتيجة طبيعية لهذه السياسة التى فازت منذ عامين بالاستيلاء على منشوريا ووضعها تحت الحماية اليابانية ، والتى مازالت تتقدم فى سبيل التوسع فى الثغور والاراضى الصينية الشمالية والوسطى . واليابان تتخذ خطوتها وشئون السياسة الدولية فى منتهى الاضطراب والتعقيد ، والدول العظمى كلها مشغولة بمشاكلها الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية ، ومن الصعب عليها ان تتفاهم او تتفق بسرعة على اتخاذ خطة او سياسة مشتركة ضد هذه السياسة اليابانية الجديدة التى تهدد نفوذها ومصالحها فى الصين .

والنظرية اليابانية فى مقاومة التوسع الغربى فى الصين ترجع الى فكرة أهم وأبعد اثرا هى فكرة الجامعة الاسيوية ، وشعارها «آسيا للآسيويين» . وقد قويت هذه الفكرة بعد الحرب ، حينما اشتد تنافس الدول الغربية على التوسع فى الصين واستطاعت روسيا السوفيتية وبريطانيا العظمى وأمريكا أن تتدخل فى شئون الصين تدخلا قويا مباشراً ، وأن تبسط كل نفوذها على مناطق واسعة فى الصين ، وحينما عمدت الدول فى كل مناسبة وفرصة إلى ارسال أساطيلها إلى المياه الصينية بحجة حماية مصالحها ؛ ولما كان موقع اليابان الجغرافى فى شرق الصين ، مشرفة على تلك المياه الصينية التى تغزوها الدول كلما شاءت ، وكانت تبسط حمايتها ونفوذها على مساحات واسعة فى الصين ، فى كوريا ، ومنشوريا وشانتصى ، فقد كانت السياسة اليابانية تنظر دائماً إلى حركات الدول فى الصين بمنتهى التوجس والريب ، وكانت تلتمس السبل دائما لمقاومة الاستعمار الاوربى والأمريكى . وكانت حركة « الجامعة الاسيوية » تزداد نشاطا وقوة ، وخصوصا كلما اشتدت الصيحة فى أوربا وأمريكا بالتحذير من « الخطر الأصفر » أو بعبارة أخرى من نهوض الأمم الآسيوية . وقد عقد أول مؤتمر رسمى للجامعة الاسيوية فى ثغر ناجازاكى فى صيف سنة ١٩٢٦ وشهده مندوبون من اليابان والصين والهند وسيام وكوريا والفلبين ، واستمرت السياسة اليابانية ترعى هذه الحركة وتغذيها مدى الاعوام الاخيرة ، وقد عقد فى فبراير الماضى فى دايرن تحت رعاية الحكومة اليابانية مؤتمر « للشعوب الاسيوية » شهده مندوبون من الصين واليابان والهند وأفغانستان وسيام وبلاد الملايو وغيرها من البلاد الاسيوية . وأصدرت فيه قرارات بوجوب اتحاد الشعوب الاسيوية على العمل فى سبيل مصالحها المشتركة الجنسية والسياسية وتحريرها من كل تدخل أجنبى ، وسيدعى مؤتمر دورى للجامعة الاسيوية . وربما كانت اليابان ترمى من وراء هذه الحركة إلى إنشاء عصبة أمم اسيوية لتأييد غايات الجامعة الاسيوية .

مبدأ مونرو اسيوى

ولهذا الانذار الذى تتقدم به اليابان الى الدول الغربية صبغة مزدوجة : فهو يعنى أولا ان اليابان ستقاوم منذ الآن فصاعدا كل محاولة

تقوم بها الدول الغربية فى سبيل التوسع فى الصين ، وثانيا أن اليابان ستكون مطلقة اليد فى الصين تحقق فيها ما شاءت من خطط التوسع والنفوذ . وللناحية الاولى سابقة تاريخية خطيرة فى السياسة الدولية هى مبدأ الرئيس مونرو (رئيس جمهورية الولايات المتحدة) ، الذى وضع منذ سنة ١٨٢٣ ليكون شعارا لسياسة امريكا الخارجية ؛ واليك نص هذا التصريح الشهير الذى تطبقه السياسة الامريكية منذ اكثر من قرن وذلك بعد الديباجة :

« إن القارتين الامريكيتين بحكم حالة التحرير التى احرزتاها والتى تحتفظان بها يجب الا تعتبرا منذ الآن فصاعدا قابلتين للاستعمار من جانب اية دولة أوربية ، وعلى ذلك فانا نعتبر فى المستقبل أى محاولة من جانب الدول الاوربية لبسط سلطانها السياسى على اية ناحية من نواحى هاتين القارتين خطرا على سلامتنا وسلامنا . نحن لم نتعرض لاى مستعمرة أو ملك قائم فيهما للدول الاوربية ولن نتعرض له ، ولكننا بالنسبة للحكومات التى اعلنت استقلالها وحافظت عليه واعترفنا نحن به كحق ذى اساس عادل ، لانستطيع أن نعتبر أى تغيير يرمى الى ارهاقها أو التحكم فى مصايرها الا بانه ميل عدائى نحو الولايات المتحدة . ذلك انه يستحيل ان تبسط الدول المتحالفة نظامها السياسى فى أى بقعة من هذه القارة دون تهديد سلامنا وسعادتنا . كذلك لايستطيع انسان أن يعتقد أن اخواننا فى الجنوب اذا تركوا وشأنهم قد يقبلون هذه السياسة مختارين ، ومن ثم كان من المستحيل ان ننظر الى هذا التدخل فى ذرة من التهاون والاغضاء »

ويمكننا أن نلخص مبدأ مونرو فى كلمتين : « امريكا للامريكيين » أو « اتركوا امريكا » كما نستطيع ان نلخص الانذار اليابانى فى كلمتين « آسيا للاسيويين » او « اتركوا آسيا » مع هذا الفارق ، وهو أن اليابان تحدد بتصريحها منطقة معينة من آسيا هى الصين ، أو الشرق الاقصى بصفة عامة ، وقد فهم مبدأ مونرو فى امريكا وطبق خلال قرن من الناحية السلبية فقط . أعنى من ناحية مقاومة التدخل الأوربى ؛ ولكن السياسة الامريكية وضعت فى الاعوام الاخيرة تفسيرا جديداً لمبدأ مونرو ، وهو أنه الى جانب حق امريكا فى قمع أى تدخل أوربى ، يحق لامريكا ، وامريكا وحدها — أن تحتل أية بقعة من القارة الامريكية متى رأت ذلك ضروريا لصون سلامها ومصالحها ، وطبقت السياسة الامريكية ذلك التفسير الايجابى الجديد لمبدأ مونرو فى عدة حوادث معاصرة مثل تدخلها فى حوادث نيكاراجوا ، واحتلال بعض أراضيها ، وارغامها بناما على عقد معاهدة تعتبر شبه حماية ، ثم تدخلها أخيراً فى حوادث كوبا . وهذا هو نفس مايعنيه التصريح اليابانى من ناحيته الايجابية فاليابان ترى من حقها دون غيرها من الدول أن تستأثر بالتوسع فى الفتح والنفوذ فى الصين

وقد بدأت اليابان فعلا بتطبيق هذه السياسة منذ ثلاثة أعوام فوضعت خطتها للاستيلاء على منشوريا وتذرعت لذلك الفتح باعتداء العصابات الصينية على المنطقة اليابانية والسكة الحديدية الشرقية التى تضع يدها عليها واضطرارها الى حماية المصالح اليابانية والرعايا اليابانيين من ذلك الاعتداء الذى عجزت عن قمعه السلطات الصينية . وحوادث فتح اليابان لمنشوريا مازالت ماثلة فى الاذهان فلسنا بحاجة الى تفصيلها . غير أنا نذكر فى هذا المقام فقط أن اليابان أبدت منذ البداية عزمها على احتلال منشوريا وامتلاكها فعلا ، ولم تحفل بتدخل عصبة الامم تلبية لنداء الصين ، ولم تقف لحظة عند أى القرارات التى أصدرتها العصبة لحسم النزاع كانتداب لجنة للتحقيق ، والتوصية بوقف القتال ، واعادة الحالة الى ما كانت عليه ؛ بل لبثت اثناء اشتغال العصبة بهذه الازمة الخطيرة ماضية فى غزو منشوريا وافتتاحها حتى اتمت خطتها العسكرية ، واستخلصت اقليم منشوريا كله ، ثم انتهت بأن ضاقت ذرعا من تدخل عصبة الامم ، فانسحبت منها لتكون حرة مطلقة اليد والتصرف . ولم تقف اليابان عند افتتاح منشوريا بل هاجمت اثناء ذلك شنغهاى أعظم الثغور الصينية بحجة الاعتداء على بعض رعاياها واحتلته وكادت تنفذ إلى الداخل لولا ما أبدته الحكومة الوطنية الصينية من مقاومة شديدة وما أنذرت به الدول من التدخل ؛ ثم عادت فغزت اقليم شهلى شمال بكين ، واحتلت عدة من قواعده واجتازت السور الكبير . كل ذلك لترغم الصين على الاعتراف بمركزها فى منشوريا . وانتهت اليابان بأن جعلت منشوريا دولة جديدة باسم دولة « منشوكيو » ، وأقامت عليها هنرى بوى امبراطور الصين المخلوع ، أولا رئيسا لجمهورية منشوكيو ثم امبراطوراً لها ، وتم بذلك استيلاء اليابان على أعظم الاقاليم الصينية الشمالية وأغناها ، فاذا ذكرنا أن اليابان تملك من أراضى الصين شبه جزيرة كوريا وثغر تيانتسين وما اليه ، وبورت أرثر وتسنج تاو ، وتحتل مناطق

كبيرة فى إقليم شانصى ، استطعنا أن نقدر الى أى حد بلغت اليابان فى توسعها فى الصين .

موقف الدول

وقد قلنا إن موقف الدول إزاء السياسة اليابانية الجديدة لم يتضح بعد ، ولم يتخذ بعد صبغة رسمية . ولكن الذى لا ريب فيه هو أن الدول التى لها فى مياه الشرق الاقصى وفى الصين مصالح عظيمة مثل أمريكا وبريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا ، ستقاوم هذه السياسة أشد مقاومة ، وليس بعيداً أن تلجأ الى الوسائل العنيفة اذا هددت أملاكها أو مصالحها ، وكما أن اليابان تقرن انذارها بالمظاهرات العسكرية وتقرير الاعتمادات الحربية الجديدة ، فكذلك نرى انكلترا تقوم بمظاهرة بحرية فى ثغر سنغافورة ، ويعقد أمراء البحر الانكليز هنالك اجتماعا خطيرا للنظر فى تعجيل الاعمال والاجراءات الخاصة باتمام قاعدة سنغافورة البحرية التى ستكون أعظم وأقوى قاعدة بحرية فى الشرق الاقصى ، ونرى أمريكا تقرر اعتمادات مالية ضخمة لبناء سفن جديدة ، وينتقل الاسطول الامريكى من مياه الاطلانطيق ويجوز قناة بناما إلى المحيط الهادى فى أقل من يومين قياما بمظاهرة بحرية كبرى . وتحتج الدول ذات الشأن على لسان صحفها من الوجهة الدولية بالمعاهدات المعقودة بين اليابان والدول بشأن الصين ، وأخصها وأحدثها معاهدة الدول التسع التى عقدت على يد مؤتمر واشنطون سنة ١٩٢٢ بين الولايات المتحدة (أمريكا) وبريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا واليابان والصين وبلجيكا وهولندة والبرتغال ، وتنص هذه المعاهدة على احترام سيادة الصين واستقلالها ووحدتها الادارية والاقليمية ، وعلى معاونتها على النهوض والتقدم بكل الوسائل ، واستعمال الدول الموقعة لنفوذها فى تأييد مبدأ الفرص المتساوية فى النشاط التجارى والصناعى فى الصين لجميع الامم ، وعلى عدم انتهاز ظروف الصين للحصول على امتيازات خاصة ، ومعنى ذلك أن اليابان ليست حرة فى أن تحتل فى الصين مناطق جديدة ، أو تبسط نفوذها على مناطق جديدة ، وليست حرة بالاخص فى أن تستأثر وحدها بتنفيذ سياسة التوسع والاستعمار فى الصين ؛ هذا الا اذا كانت تعتبر المعاهدات الدولية قصاصات لا قيمة لها .

وهناك غير هذه الدول الموقعة لمعاهدة واشنطون ، روسيا السوفيتية ؛ وهى من أعظم الدول مصالح فى شمال الصين ، وأشدها اهتماما بسير السياسة اليابانية ، وروسيا تجاور اليابان فى منشوريا ، وتشترك معها فى امتلاك السكة الحديدية الصينية الشرقية ، وفى امتلاك جزيرة سخالين ، وتصطدم معها فى شئون ومصالح كثيرة وقد ساءت علائق اليابان وروسيا فى العهد الاخير بسبب استيلاء اليابان على منشوريا وانتزاعها القسم الروسى من السكة الحديدية الشرقية ، وتهديدها بذلك نفوذ الروسيا فى منغوليا ، وقد كان لروسيا فوق ذلك فى الصين الوسطى والجنوبية نفوذ عظيم منذ أعوام ، وكانت اليابان من أنشط الدول لمحاربته والقضاء عليه ، والخصومة الروسية اليابانية قديمة فى الشرق الاقصى ، وترجع بالاخص الى حرب سنة ١٩٠٤ التى هزمت فيها روسيا امام اليابان وفقدت بورت آرثر ثغرها الممتاز فى الصين ؛ وهى اليوم أشد ما تكون اضطراما . ولا تخفى حكومة موسكو انزعاجها من السياسة اليابانية الجديدة ، واستعدادها لمقاومتها وحماية النفوذ والمصالح الروسية فى الشرق الاقصى بكل ما وسعت .

موقف الصين

ثم هنالك الصين ، وهى المقصودة بتطبيق السياسة اليابانية الجديدة . وقد لبثت الصين مسرحا للفتن والحرب الاهلية زهاء ربع قرن ، والدول الغربية أثناء ذلك تعمل على انتهاز الفرص لتوسيع نفوذها ومصالحها ، واليابان تجاريها فى انتهاز الفرص . فلما اشتد التنافس بين الدول على استغلال الحوادث الصينية ، عقدت فيما بينها معاهدة واشنطون سنة ١٩٢٢ (معاهدة الدول التسع) لكى تضع حدا لهذا التنافس أو بعبارة أخرى لكى تنظمه ، وقطعت الصين بعد ذلك ستة أعوام أخرى فى غمار من الحروب الاهلية الطاحنة حتى قامت الحكومة الوطنية أخيرا (حكومة نانكين) لتوحد كلمة الصين الى حد ما ، ولتعمل على صون استقلال الصين والحد من التوسع الأجنبى . وقد بذلت الحكومة الوطنية فى هذا السبيل جهودا لا بأس بها ، ولكن اختلاف الزعماء والقادة كان دائما يشل من هذه الجهود ، ويفتح الباب لدسائس الدول الأجنبية وغيرها المستتر بصور وأساليب شتى ، ولم كان الانذار اليابانى متعلقا بوقوف اليابان فقط فى وجه المطامع الاجنبية فى الصين ، لما كان للصين كبير اعتراض عليه ؛ ولكن اليابان لا تقف كما قدمنا عند هذه الناحية السلبية من سياستها الجديدة ، وانما تقرنها بادعاء حق الاستئثار بالتوسع فى الصين ، وتقوم بتنفيذ هذه السياسة بطريقة فعلية منظمة منذ ثلاثة أعوام ، اعنى منذ غزوها لمنشوريا ، ومعنى ذلك